

«احفظوا ألسنتكم»



من بين الأمور التي ركّز عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته المشهورة في فضل شهر رمضان مسألة حفظ اللسان، حيث قال: «واحفظوا ألسنتكم». وحفظ اللسان هو أن لا تستخدم لسانك آلة لمعصية الله، بل لا بدّ أن يكون لسانك لسان خير وطاعة وإصلاح، لأنّ هذه المسألة تتصل بحياة الإنسان في نفسه وحياته مع الناس، وحياته مع الله تعالى، فالإنسان ربما يسقط في النّار نتيجة ما يحمده لسانه، وقد ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حمائد ألسنتهم يوم القيمة؟»، وفي الحديث أن اللسان يشرف على الأعضاء – في كلّ صباح – فيسألهم: كيف أنتم؟ فيقولون: نحن بخير ما تركتنا.

ويقول الإمام عليّ (عليه السلام): «ألا إنَّ اللَّسَانَ بِهَضْعَةٍ مِّنَ الْأَرْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الرُّقُولُ إِذَا امْتَدَّعَ، وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطُقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّ سَافَرَاءَ الْكَلَامِ، وَفِينَما تَدَشَّبَتْ عُرُوفُهُ، وَعَلَيْنَاهُ تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ. وَاعْلَمُوا – رَحْمَمَكُمْ إِنَّ أَزْكَمُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَاتِلُ، وَاللَّسَانُ عَنِ الصَّدَقِ كَاتِلُ، وَاللَّازِمُ لِتَحْقِيقِ ذَلِيلُ. أَهْلُهُ مُعْذَنَكَفُونَ عَلَى الْعَصِيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمُ، وَشَائِدُهُمْ آثِرُ، عَالِمُهُمْ مُنْذَاقُ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقُ، لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرَهُمْ». لهذا علينا أن نتعلّم من أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف نسعى كي نصون ألسنتنا من الكذب والغشّ وقول الزور والبهتان والغيبة، وكيف تتحرّك كي تكون ألسنتنا ألسنة لنشر العلم والفضيلة بين الناس، وكيف تكون ألسنة في خدمة الحقّ وأهله، وفضح الطّالمين والمستكبرين، وكيف تكون سلاحاً نواجه به مشاريع الفتنة ونشر الفساد والضلالات، فكم من ألسنة تتحرّك من أجل خدمة باطل هنا أو عصبيّة هناك أو جهل هنالك، وتبتعد عن الله وسبيله، وتسعى في إحداث الفتنة والفساد بين العباد.

نحن نعرف أن الله تعالى حرّم على الإنسان الكثير مما يمكن أن ينطقه بلسانه، فحرّم عليه الكذب في الصغير والكبير، وفي الهرزل والجدّ، وقد ورد في وصية الإمام زين العابدين (عليه السلام) لأبنائه:

«اتقوا إِنَّ في الصغير والكبير، في هزل أو جدٍّ، إِنَّ المرء إذا اجترأ على الكبير»، وقد ورد في الحديث: «لا يكذب الكاذب وهو مؤمن»، فإذا كان الإنسان كذا باً لم يكن مؤمناً، لأنَّ الإيمان يربطك بالحق، والكذب يربطك بالباطل، ولا يجتمع الحق والباطل عند الإنسان المؤمن.

وإلى ذلك، ورد تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلى الله عليه وآله وسلم)، عندما قال: «إنَّ الرجل ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإنَّ الرجل ليتكلّم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى بها سخطه إلى يوم يلقاه». وقد ورد في الحديث: «رُبَّ كلام أنفذ من سهام». وقال الشاعر: جراحات السنان لها التئامُ ولا يلتامُ ما جرحَ اللسانُ

وقد جاء في الحديث: «رُبَّ لسانٍ أَتَى عَلَى إِنْسَانٍ»، و«كم مِنْ دَمٍ سَفَكَهُ فَمُ». حتى ورد: «بلاء الإنسان من اللسان». ومن هنا، حذّرت الآيات والأحاديث الإنسان على أن يشدد الرقابة الذاتية على كلّ كلمة قبل إطلاقها أو كتابتها أو بثّها، توقّياً لمنزلقات هذه الكلمة، ومنعاً من الوقع في محاذير تبعاتها. وقد اعتبرت هذا التّدبّر علامةً فارقة تميّز المؤمن من غيره. ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ قلب المناق من وراء لسانه، لأنَّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام، تدبّره في نفسه، فإنَّ كان خيراً أبداه، وإنَّ كان شرّاً واراه، وإنَّ المناق يتكلّم بما أتى على لسانه، لا يدرى ماذا عليه». وقد ورد: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».